نسطور

فى منطقة تقع ما بين سوريا وتركيا .. وهى التى تعرف الآن باسم " مرعش " .. ولد رجل .. كان قدره أن يدرس .. وينبغ .. ويبرع .. فى مختلف الفنون والعلوم والآداب .. حاول أن يقترب من الله .. فابتعد عن ثوابت الكنيسة .. دافع عن أفكاره .. فخاض معارك هائلة .. واجه الأساقفة والرهبان .. فاجتمع من أجله أساقفة الأرض كما اجتمع مثلهم من قبل لمواجهة " أريوس " الذى سبقه فى الحديث عن طبيعة السيد المسيح عليه السلام وبشريته نافيًا عنه صفة الألوهية ملقيا عليه رداء النبوة والرسالة .. والعجيب أن الاثنين طافا بأفكارهما بقاع الأرض متنقلين بين المدن وعواصم الإمبراطوريات لتنتهى حياتهما فى مصر . أريوس فى " الإسكندرية " .. ونسطور فى " أخميم " ويفصل بينهما سنوات قليلة ما بين موت أريوس وولادة نسطور .. والاثنان انعقد من أجلهما أشهر مجمعين فى تاريخ المسيحية الأول مجمع " نيقية " الذى تم وضع قانون الإيمان المسيحى به والثانى " أفسوس " الذى حكم على نسطور بالحرمان والتجريد وفساد الأفكار وتطاولها على قواعد الإيمان المسيحى .. ليحمل من بعدها نسطور لقب "المهرطق " .

لم يستطع أحد تحديد حقيقة البلد الذى ينتمى إليه نسطور .. فيقال إنه ولد لأبوين سوريين أو فارسيين أو أنه من أصل يونانى والرأى الأخير يقول به أتباعه من النساطرة الذين مازال بعضهم يقيم فى بعض مناطق من آسيا والهند ويعتنق النسطورية ..

كانت سوريا تقع تحت إمرة ونفوذ الإمبراطورية الرومانية التى كانت تحاول تثبيت دعائم ملكها أمام عدوها الإمبراطورى القوى " الفرس " .. وكان الأباطرة

المتعاقبون يبحثون عن وسائل السيطرة والنفوذ على شعوب الدول التى تقع ضمن ممتلكاتهم ويضجون فى نفس الوقت بالخلافات والمذاهب العقائدية والفرق المختلفة التى كانت لا تكف عن الصراع من أجل البحث عن الحقيقة .. التى كانت لا تعنى حكام الإمبراطورية الرومانية كثيرا أمام الثروات المتدفقة التى تصب فى خزائنهم والتى تحتاج إلى الهدوء والاستقرار حتى تستمر فى التدفق.

وسط هذا الزخم .. ولد "سنة تمام نسطور ريوس " أو نسطور فى تلك البلدة التى تقع ضمن أملاك الدولة الرومانية وتقترب من الإمبراطورية الفارسية .. عاش فيها طفولته حتى بلغ أطوار الصبا والشباب فانتقل إلى دير " مارابروبيوس " بجوار إنطاكية ليدرس اليونانية ومبادئ العلوم ويتشبع بمبادئ مدرسة إنطاكية اللاهوتية ليتتلمذ على يد " تيودور المصيصى أو الموبسيوستى " أو تيودور المفسر " صاحب أشهر شروحات للأناجيل المقدسة وأعمال الرسل .. ولم يكن نسطور طالب علم عاديا بل ظهر نبوغه وبلاغته وفصاحته فى أثناء دراسته مما جعله التلميذ المقرب من الأسقف تيودور .. وفى أنطاكية المدينة ذات الأهمية القصوى فى حياة نسطور قدم نذر الرهبنة فى دير " يوبريبوس " كان قد أسسه الناسكان المشهوران ديودورس الذى أصبح فيما بعد أسقف طرسوس .. وكاريتيريوس .. وجعلاه قبلة لطلاب العلم والنسك والزهد وكان الأول يعلم العلوم والثانى سيرة الكمال. ولم يكن نسطور أول من تعلم فيه بل سبقه إلى ذلك كثيرون منهم «يوحنا الذهبى الفم» علامة إنطاكية وبطريرك القسطنطينية وتيودور المفسر أسقف المصيصة .. ووجد نسطور ضالته فى ذلك الدير فقد كان " تيودور" يلقى محاضراته فيه .. فكان يواظب على حضور دروسه مع مجموعة من الطلاب كان منهم يوحنا بطريرك إنطاكية وتاودوريطس أسقف قورس وروفنيس الإكليلى وبرسوم أسقف نصبين .. ووجد نسطور ضالته فى حكمة وعلم تيودور وتبحر فى علوم الفلسفة ليستمر فى الدرس والاطلاع وقراءة كتب التاريخ والآثار والمذاهب والأديان .. والاطلاع على مختلف الآراء والكتابات حتى التى كان أصحابها خارجين على الكنيسة والتى كانت كتبهم فى تلك الفترة محظورة ولا يسمح لراهب

أن يقتنيها .

وتمت سيامته كاهنا على مذبح كنيسة إنطاكية .. ليكلف بعد ذلك بتفسير الأسفار المقدسة بعد ما بلغ شأنا فى فنون اللغة والآداب ولم تقتصر براعته على تمكنه من علوم وفنون اللغة والتاريخ بل حصل على شهرة واسعة كرجل دين وواعظ قدير حتى ذاع صيته فى المدينة التى كانت تموج بالأفكار والفلاسفة ورجال الدين والأتقياء وبالخارجين على كل هذا حتى أنها سميت " بالمدينة المتحررة " .

حظيت إنطاكية بموقع جغرافى فريد ومتميز فى وادى نهر العاصى ، فهى تقع على مفترق الطرق بين الفرات والمتوسط من جهة ، وبين آسيا الصغرى وفلسطين من جهة أخرى مما جعلها من المدن شديدة التوهج والازدهار .. تتلاقى بها الأفكار والجنسيات والبضائع والأموال .. ويعود ازدهار المدينة إلى غزارة التبادل التجارى بين البلدان الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية حتى أن الرومان منحوها لقب المدينة المتحررة وهو امتياز احتفظ به الإنطاكيون حتى نهاية القرن الرابع حين قرر الإمبراطور فيثودوسيوس الأول رفع هذا الامتياز عنهم ومعاقبتهم على العصيان الذى قاموا به ضد إجراءاته التعسفية فى جباية الضرائب ، مع أنه كان هو نفسه الذى زين بوابة المدينة المسماة " بوابة الغار " بطبقة من الذهب المتألق كانت تشاهد من مسافات بعيدة .

وكعلاقة طبيعية ما بين المال والتجارة والأثرياء كانت إنطاكية عنوانا للجمال واشتهرت بمعابدها الرائعة وساحاتها العامة وأسواقها ومسارحها وحماماتها وقصورها حتى أنها احتلت وبجدارة المركز الثالث بين مدن الإمبراطورية وكانت مركزاً لاهتمام الأباطرة وكان قسطنطين الكبير أول إمبراطور مسيحى يبنى كنيسة رسمية فى المدينة مما جعل خلفاءه والأثرياء والأساقفة يسيرون على خطاه مما حولها إلى الولاية الأم فى العالم المسيحى .

ولأن المدن تصنع أبناءها .. فكان لإنطاكية تأثير هائل على نسطور الذى سيتحول بعد سنوات من قدومه إليها ونبوغه فيها إلى أسقف يتحرى الكنيسة

وثوابتها وإيمانها .. فلقد قدمت إنطاكية التى حفر تاريخها الشهداء والرسل وأصحاب البدع والقديسين .. فهى عرفت الشدائد منذ البداية من الاضطهاد الرومانى بالمقدار نفسه الذى لاقته الإسكندرية وروما .. فعلى أرضها سالت دماء «ماريوديوس» الذى استشهد فى أيام حكم الإمبراطور نيرون ثم أعقبه شهيد آخر هو " ماراغناطيوس " الذى استشهد فى عصر الإمبراطور " تراجان " الذى أخضعه للاستجواب بنفسه وأمر بأن يرمى إلى الوحوش الكاسرة التى افترسته أمام أكثر من ٧٠ ألف متفرج .. وهو الأمر الذى لم يمنع " ثيوبيلوس " الأسقف الضليع والكاتب المبدع فى محاربة الأفكار الوثنية والتعاليم التى كان ينادى بها السوريون الغنطوسيون وكانت تقول إن المادة شر وأن الخلاص يأتى عن طريق المعرفة الروحية .. وتحولت إنطاكية مع الوقت إلى معقل للأرثوذوكسية بعد ظهور "سيرابيون" الذى أصبح مطرانا عام ١٩٦م وتوفى سنة ٢١١م كتب خلالها سلسلة من الرسائل والمؤلفات .. ليظهر من بعده " ماربابيلاس " الذى تربع على كنيسة إنطاكية ما يقارب العشر سنوات ويقال إنه رفض السماح لإمبراطور رومانى بالدخول إلى الكنيسة لأنه معاد للمسيحية .

ولم تكتف المدينة باحتضان القديسين وشهداء المسيحية الأرثوذوكسية .. ولكنها ضمت إلى جانبهم " بولس السامسطائى " الذى أصبح مطرانا لإنطاكية فى الفترة ما بين ٢٦٠ إلى ٢٧٠م نشأ بولس فى عائلة فقيرة واستطاع أن يكون ثروة طائلة وكان أول من استخدم العبارة الشهيرة " المتساوى الجوهر " وقال ببشرية السيد المسيح ونفى عنه صفة الألوهية وقال بأن الروح القدس ملاك أتى من السماء يأتمر بأمر الله .. وكانت الملكة زنوبيا ملكة تدمر تسانده فى دعواته وتدعمه بقوة فلم تنس أبدا أنه كان معلمها فى صغرها ولم تفلح مساندتها له فى منع انعقاد مجمع إنطاكية بعد ازدياد خلافه مع المطارنة الآخرين الذين رفضوا تعاليمه وفيه تظاهر بولس بالاقتناع وأعلن تراجعه عن أفكاره من أجل احتفاظه بمنصبه الذى استمر فيه خمس سنوات ليعود مرة أخرى إلى أفكاره القديمة أو هرطقته التى تصدى لها من قبل البابا السكندرى " ديونيسيوس " .. وانعقد المجمع الثانى فى

انطاكية عام ٢٦٩ وقرر هذا المجمع خلعه.

وفى أنطاكية تعلم " أريوس " على يد معلمه المطران " يوسيبيوس النيكوميدى " وبشّر بها فى الإسكندرية .. ليعود ويقف فى مجمع «نيقية» عام ٣٢٥م متمسكا بآرائه التى تقول " بأن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن " .

وظهرت بعد مجمع نيقية " ثلاث فرق فى إنطاكية .. الفرقة الأولى فرقة يوسيبيان وقد اتبعت العمل ضد قرار المجمع الذى كان قد أدان أريوس وأقر عقيدة التثليث ولكن دون التظاهر بالعداء المكشوف له ، وتابعت هذه الفرقة عملها ونشاطها بهدوء مفندة قرارات المجمع ومشجعة للأريوسية التى كانت الممثل النشط للتوحيد فى المسيحية .. وآتت هذه السياسة الحذرة بثمارها بعدما استطاع المطران الأريوسى " يوسيبيوس النيكوميدى " أن يعمد الإمبراطور قسطنطين وهو على فراش الموت عام ٣٣٧م وأقنع خليفته بنفى البابا أثناسيوس بابا الإسكندرية ومناصرة أريوس . وكان يقف على رأس الفرقة الثانية فى إنطاكية الأسقف "يوساثيوس" والذى كان يدافع عن قرارات مجمع نيقية ومثل بذلك الموقف الرسمى للأرثوذوكسية .. لتستمر المواجهة بين الفريقين حتى حسمت فى نهاية الأمر وفى تلك الفترة الزمنية لصالح الأريوسية التى ازدادت شعبيتها فى الإمبراطورية فتم خلع الأسقف يوساثيوس الأرثوذوكسى ونفيه إلى "ثرسى" حيث توفى هناك .

وبقيت الفرقة الثالثة التى كان أتباعها من الأتقياء والمؤمنين الذين أيدوا قرارات مجمع نيقية ولكنهم أطاعوا المطرانية الأريوسية وهم مهتمون قليلا بتفاصيل الخلاف ومعارضون للانشقاق فى المبدأ وخاصة بعد أن اعتادوا على كثرة الآراء والخلافات حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام والسيدة مريم العذراء .

ولم تهدأ إنطاكية التى كانت دائما تنطلق منها الدعوات التى كانت تشغل المسيحية عشرات السنين .. بدأت فى القرون الأولى بعد ميلاد السيد المسيح

عليه السلام ومستمرة حتى الآن .

ففى سنة ٤٢٩ جلس يوحنا الإنطاكى على كرسى المطرانية وفى عهده توحدت فروع الكنيسة ولكن لمدة قصيرة .. بعد أن بدأت نذر التوتر الجديدة تأتى من جهة أخرى عن طريق رجل دين إنطاكى يدعى " نسطور " تلميذ " تيودور المصيصى" .. الذى سرعان ما حصل على شهرة واسعة كواعظ قدير .. كما كان يتسم بأنه رجل دين مخلص وأمين وشديد التقوى .. كانت الجموع تنصت إليه عندما يتحدث بصوت عميق جميل ملقيا عظاته التى كانت تمتلئ بكلمات بسيطة وساحرة تنفذ إلى قلوب مستمعيه مؤثرا عليهم بهيئته الوقورة والأنيقة فى نفس الوقت فكان الحماس والذكاء يتقد فى عينيه الواسعتين بلونهما الأخضر ووجهه الأبيض المشرب بالحمرة ولحيته الأنيقة الشقراء التى يتخللها الشعر الأبيض .. كانت هيئته وصوته القوى وأسلوبه فى الخطابة وإلقاء العظات سببا فى التفاف الكثيرين من حوله.

كان نسطور قد بلغ الأربعين من عمره عندما توفى " سيسينوس " أسقف القسطنطينية عام ٤٢٧م ليتحول موت الأسقف إلى حدث سياسى يؤثر فى مستقبل نسطور بعد أن قرر الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى أن يختار أجنبيا للجلوس على كرسى القسطنطينية التى كانت تعد وقتها روما الجديدة والتى كان الصراع فيها قد بدأ على الوصول إلى كرسى البطريركية .

فبعد وفاة الأسقف القسطنطينى رشح كبار رجال الدين فى المدينة " بروكلوس " و " فيبلبوس " أحد كهنة العاصمة وكان معروفا بغزارة علمه وتعمقه فى دراسة الآثار وتاريخ المسيحية وكان اختيار الاثنين من قبل الكهنة ورجال الدين فى حين كان الشعب يرجو وصول " سيسيبيوس " أحد كهنة الضواحى بالمدينة واشتهر عنه محبة المسيح وتواضعه الشديد وتقواه وعطفه على الفقراء فتم انتخابه ولم يظل على كرسى القسطنطينية أكثر من عام وتوفى ليعود الصراع مرة أخرى بين " بروكلوس "و" فيبلبوس " وآثر الإمبراطور " ثيودوسيوس الثانى " الخروج من هذه الأزمة باختيار اسقف أجنبى ومن خارج العاصمة .. خوفا من نشوب صراع بين

أتباع رجلى الدين المتصارعين .. ووصل إلى أسماعه أخبار نسطور .. فأرسل يستدعيه ليجلس على كرسى القسطنطينية .

فى عام ٦٥٨ ق. م .. كانت القسطنطينية .. عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية فيما بعد مجرد قرية صغيرة للصيادين .. يعمل أهلها على حرفة الصيد ولم تكن مبانيها تزيد على بضعة أكواخ متناثرة وأسواق ضيقة .. ونمت القرية الصغيرة مع الأيام ليبرز موقعها الجغرافى الفريد ليكتشفها الإمبراطور قسطنطين ويحولها عاصمة لإمبراطوريته عام ٣٢٥م .. فقد كان حكم قسطنطين نقطة تحول هامة فى تاريخ المسيحية بعد أن أصدر عام ٣١٣م مرسوم ميلانو الذى أعلن فيه إلغاء العقوبات المفروضة على من يعتنق المسيحية وبذلك أنهى اضطهاد المسيحيين وفى عام ٣٢٤م أعلن قراره بتحويل " بيزنطة " إلى روما الجديدة .. لتتحول المدينة إلى عاصمة لملكه بعيدا عن الصراعات والدسائس والمؤامرات وقام فى عام ٣٣٠م بإعلانها عاصمة رسمية للإمبراطورية الرومانية .. وقد تم تغيير اسم المدينة إلى القسطنطينية نسبة إليه بعد وفاته عام ٣٢٧م .. لتصبح القسطنطينية أول مدينة مسيحية فى العالم لا يسمح فيها ببناء معابد وثنية . وتحولت القسطنطينية إلى مدينة فخمة بموقعها الجغرافى الفريد فهى تقع عند ملتقى القارتين آسيا العتيقة بفلسفاتها وأديانها ورومانييها وما بين أوروبا بعنفوانها وثرواتها .. تحيط بها البحار من ثلاثة جوانب .. فحبتها الطبيعة بجمال الأرض وخصوبتها ويناعة الخضرة وجودة المناخ وتنوع التضاريس وهو ما جعل نابليون بونابرت يصفها بعد مئات السنين من نشأتها فقال فيها " لو كانت الدنيا مملكة واحدة ، لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها" .

وصل أمر الإمبراطور إلى " نسطور " ليعتلى كرسى بطريركية القسطنطينية وقبل أن يبدأ مسيرته التى تمثل نقطة التحول الهامة فى حياته توجه لزيارة أستاذه ومعلمه تيودور المصيصى وأقام عنده فى " موسبوستى " يومين كاملين وقبل ذهابه ودعه أستاذه وقال له " إنى أعرفك يا بنى .. لم تلد امرأة أشد حماساً منك .. فعليك بالاعتدال إن أردت النجاح فى معالجة الاختلافات فى الرأى ..

فأجابه نسطور " ولو عشت أنت يا سيدى فى زمن المسيح لقيل لك .. " وأنت أيضا ذاهب".

كان تيودور المصيصى يعلم حجم ما سيلاقيه نسطور من خلافات فى الرأى بين ما يعتنقه ويؤمن به وبين الأفكار المتماوجة فى القسطنطينية وبين العقيدة الأرثوذوكسية ..

وصل نسطور إلى القسطنطينية وبرفقته صديقه الكاهن " إنسطاسيوس " الذى كان على وفاق كامل مع نسطور وأفكاره .. وتولى نسطور منصب أسقف القسطنطينية فى ١٠ أبريل ٤٢٨م ووجه فى خطبته الأولى كلمات اختص بها الإمبراطور فقال له " ابنى بلاداً بلا هرطقة امنحك السماء بديلا، استأصل أيها الإمبراطور الهراطقة ، وأنا أستأصل معك جنود الفرس ، وأمتلك فوق ذلك جنة الخلد ".

وبدأ نسطور يرتب مملكته الدينية .. فلم يكتف بالعظات والكلمات الطيبة وإنما شرع فى تطهير المدينة من أصحاب البدع والمذاهب والمهرطقين الذين انتشروا فى أرجائها . فبدأ فى إغلاق كنائس المقدونيين والأبوليناريين والنوفاتيين والأفنوبيين والطالنتيين والمركيونيين والبوريوبيين والبولسيين والمانويين وغيرهم من أصحاب البدع الذين أثاروا حيرة العامة بأقوالهم المختلفة عن طبيعة السيد المسيح عليه السلام والسيدة مريم العذراء والروح القدس وعن رفض عودة التائبين العائدين إلى المسيحية بعد انتهاء عصر الاضطهاد .. وغيرها من الأقاويل والبدع التى شغلت الناس فى الأسواق والمتاجر فما كان من نسطور إلا أن أعلن الحرب على أصحاب هذه البدع بمن فيهم الأريوسيون حتى أنه عندما قرر هدم كنيستهم .. جعل أتباع الأريوسية أنفسهم هم من يقومون بإشعال الحرائق فيها حتى أن أصحاب هذه البدع أطلقوا على نسطور لقب " حارق متعمد"

ولم تقتصر حملة نسطور على أصحاب البدع والمذاهب فقط وإنما امتدت لمحاربة مظاهر الانحلال الخلقى التى بدأت تتفشى فى المدينة المقدسة بعد ازدهارها فأقيمت فيها المسارح والملاهى والحانات التى وضعها على رأس قائمته

فى حملته التطهيرية ..

ويعزى البعض همة نسطور الشديدة فى تطهير المدينة برغبته فى إخلائها من الأفكار والعقائد المختلفة حتى تكون مهيأة لاستقبال أفكاره ومعتقداته التى طرحها فيما بعد، خاصة أن ما قال به كان يتوافق إلى حد كبير مع أفكار أستاذه ومعلمه تيودور المصيصى .. وبدأ الإعلان عن المعتقد الجديد الذى شغل المدينة وكل أرجاء الممالك المسيحية بالخلاف حول طبيعة السيدة العذراء وهل تسمى بأم الإله أو " بوالدة الإنسان " واحتد الخلاف ما بين المتنازعين .. وهناك رسالة تنسب إلى نسطور يقال إنه أرسلها إلى صديقه المقرب يوحنا أسقف إنطاكية يؤكد له فيها أنه فى وقت وصوله إلى القسطنطينية وجد خصوما متضادين موجودين بالفعل .. لقب أحدهم السيدة العذراء بلقب والدة الإله " وآخر بأنها مجرد والدة الإنسان .. وحتى يتم التوسط بينهما قال إنه اقترح عبارة " والدة المسيح " معتقداً أن كلا الطرفين سوف يرضى بها .

وقد تكون هذه الرسالة صحيحة وما ذكره فيها نسطور من أنه وجد الخلاف قائما بالفعل كان قد نشأ من تسرب أفكاره وأفكار أستاذه تيودور المصيصى إلى القسطنطينية ويطرح البعض الآخر تصورا مختلفا عن بداية إعلان نسطور عن معتقداته أو هرطقته التى خرج بها عن قواعد الإيمان المسيحى الأرثوذوكسى بأنه عندما تدخل فى النزاع القائم حول طبيعة السيدة العذراء وأراد التوفيق بين المتنازعين سقط هو فى هرطقته خاصة أن القول بأن السيدة العذراء بشر .. والبشر لا يلد الآلهة.

كانت من ضمن مقولات "إنسطاسيوس " صديق نسطور الذى عرف عنه ذكر ذلك الأمر فى مواعظه وكان يحذر العامة من أنه لا يحب أن يطلق أحد على السيدة مريم لقب والدة الإله لأن مريم كانت إنسانة والله لا يمكن أن يولد من إنسان "

كانت تلك الترجيحات السابقة هى محاولة لرصد بداية ظهور فكر ومعتقدات نسطور ولكن معظم المؤرخين يؤكدون أن نسطور وصديقه إنسطاسيوس هما من

أثارا هذا القول وهو أمر يتفق مع طبيعة الأحداث وخلفيات الأشخاص الذين عرفهم نسطور وتتلمذ على أيديهم .. ولم تكن طبيعة السيدة العذراء سوى البداية فقط أو الأساس الذى بنى عليه نسطور معتقده وكنيسته التى ما زالت تعرف باسمه حتى الآن .

وبحماس شديد وبعد أن بدأت الأمور تستقر لنسطور فى القسطنطينية " قال فى واحدة من أهم خطبه والتى حملت علامات فكره بوضوح شديد إنهم يسألون إن كان من الممكن أن تدعى مريم والدة الإله .. لكن هل لله أم ؟

فى هذه الحالة يجب أن نعذر الوثنية التى تكلمت عن أمهات للآلهة ، لكن بولس .. لم يكن كاذبا حينما قال عن لاهوت المسيح " إنه بلا أب ، بلا أم ، بلا نسب .. لا يا أصدقائى لم تحمل مريم الله .. فالمخلوق لم يحمل الخالق .. إنما حملت الإنسان الذى هو أداة اللاهوت ، لم يضع الروح القدس الكلمة .. لكنه أمد له من العذراء المطوبة بهيكل حتى يمكنه سكناه .. أنا أكرم هذه " الحلة " التى استفاد منها من أجل ذاك الذى احتجب فى داخلها ولم ينفصل عنها .. أنا أفرق الطبائع وأوحد التوقير .. تبصر فى معنى هذا الكلام .. فإن ذاك الذى تشكل فى رحم مريم لم يكن الله نفسه .. لكن الله اتخذه .. وبسبب ذاك الذى اتخذ فإن المتخذ أيضا يدعى الله "

كانت خطبة نسطور " حول طبيعة المسيح وطبيعة السيدة مريم العذراء . تعد حجر الأساس لمعتقده خاصة بعد ما كان المسيحيون المؤمنون يقدسون السيدة العذراء ويتوسلون بها إلى الله بصفتها أم الإله .. وهو ما جعل ذلك الأمر مدخله لتثبيت عقيدته فألقى عظة أخرى كانت كلها تدور حول من يقدسون السيدة العذراء قال فيها " إن ذلك الذى يقول ببساطة أن الله مولود من مريم يجعل من العقيدة المسيحية سخرة للوثنيين ، لأن الوثنيين سوف يجاوبون " لا أستطيع أن أعبد إلها يولد ويموت ويدفن .. فهل أقيم الكلمة من الأموات ؟ وإذا كان معطى الحياة قد مات ؟ فمن يمكنه أن يعطى الحياة إذا ؟

وبعدما أكد بشرية السيد المسيح عليه السلام وعلى توضيح حقيقة السيدة

العذراء من وجهة نظره انتهى به القول بوجود طبيعتين للمسيح .. الأولى بشرية كاملة فيما عدا الخطيئة كابن للعذراء مريم والثانية لاهوتية وهى كلمة الله التى حلت به وهكذا نادى نسطور بفكرة الطبيعتين المنفصلتين للمسيح فى غير اختلاط أو تمارج .. وهو ما أوضحه فى واحدة من خطبه الشهيرة التى قال فيها " إنهم يدعون اللاهوت معطى الحياة .. قابلا للموت ويتجاسرون على إنزال "اللوغوس" أو الكلمة أى السيد المسيح إلى مستوى خرافات المسرح كما لو كان (كطفل) ملفوفا بخرق ثم بعد ذلك يموت .. لم يقتل بيلاطس اللاهوت .. بل حُلة اللاهوت .. ولم يكن اللوغوس (المسيح) هو الذى لف بثوب كتانى بواسطة يوسف الرامى .. لم يمت واهب الحياة لأنه من الذى سوف يقيمه إذا مات ؟ ولكى يصنع مرضاة البشر اتخذ المسيح شخص الطبيعة الخاطئة (البشر) ..

أنا أعبد هذا الإنسان (الرجل) مع اللاهوت .. ومثل آلات صلاح الرب .. والثوب الأرجوانى الحى الذى للملك .. ذاك الذى تشكل فى رحم مريم ليس الله نفسه لكن لأن الله سكن فى ذاك الذى اتخذه ، إذا فإن هذا الذى اتخذه أيضا يدعى الله بسبب ذاك الذى اتخذه . ليس الله هو الذى تألم لكن الله اتصل بالجسد المصلوب .. لذلك سوف ندعو العذراء المقدسة " وعاء الله " وليس " والدة الإله " لأن الله الأب وحده الإله .. ولكننا سوف نوقر هذه الطبيعة التى هى حلة الله مع ذاك الذى استخدم هذه الحلة ، سوف نفرق الطبائع ونوحد الكرامة ، سوف نفرق بشخص مزدوج .. ونعبده كواحد "

وبدأت آراء ومعتقدات نسطور تنتشر وتنطلق خارج أسوار القسطنطينية ليتناقل الناس ما يقوله عن أنه لا يعتقد بألوهية المسيح ، وإن كان يعتقد أنه فوق الناس ، وليس مثلهم وهو ما يفسر كلماته " إن هذا الإنسان الذى يقول إنه المسيح بالمحبة متحد مع الأب ، ويقال إنه ابن الله ليس بالحقيقة ، ولكن بالموهبة فالمسيح لدى" نسطور " لم يكن فيه عنصر إلهى قط ، ولم يكن إلهاً ، ولا إبن إله وإنما هو إنسان ولد من السيدة مريم العذراء الإنسانة .. ثم اتحد الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثانى .. وذلك الاتحاد ليس اتحادا حقيقيا .. بل اتحاد مجازى أو معنوى،

لأن الله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن..

وكان رد الفعل الطبيعى على ما قال به نسطور وخرج به على قواعد الإيمان المسيحى التى تمت صياغتها فى مجمع " نيقية " أن يثور عليه البعض .. ويراه آخرون مهرطقا ويتوافق معه عديدون .. ممن فتنهم حديثه وبلاغته وطلاقته ورخامة صوته وكلها صفات أهلته ومنذ البداية لتولى كرسى البابوية بالقسطنطينية.

وأصبح نسطور وأتباعه ودعاته مصدرا حقيقيا للخطر وخاصة برئاسته لقمة السلطة الدينية فى المدينة التى حملت اسم الإمبراطور الذى يسمى بحامى الدين .. ولم يكن رد فعل بعض رجال الدين فى المدينة كافيا لوقف دعوة نسطور ولا حتى صياح العامة الذين هتفوا " لدينا إمبراطور ، لكن ليس لدينا أسقف " .. واشتدت حركة المعارضة التى قادها بعض الرهبان لنسطور وأفكاره حتى أن أحدهم وهو المعروف باسم " يوسابيوس " عارضه أثناء إلقاء عظاته .. فأطلق عليهم نسطور لقب الرجال البؤساء " ..

وبعيدا عن القسطنطينية بآلاف الأميال .. استقبلت الإسكندرية .. أفكار نسطور ومعتقداته .. ورددها بعض الرهبان ورجال الدين وبدأوا هم أيضا يطالبون بتغيير مسمى السيدة مريم العذراء من والدة الإله إلى " أم المسيح " ..

ووصلت هذه الأخبار إلى آذان البابا كيرلس .. بطريرك الإسكندرية .. لتبدأ حلقة جديدة من الصراع لمكافحة أفكار نسطور بعد أن تصدى له كيرلس .

نشأ البابا كيرلس فى كنف ورعاية خاله .. البابا ثاوفيلس " البطريرك الثالث والعشرين للإسكندرية ارتبط بخاله الذى رويت عنه قصة غاية فى الأهمية وكانت والدة كيرلس شاهدة عليها .. ولد ثاوفيلس لأبوين مسيحيين فى مدينة ممفيس وتيتم منهما وهو طفل وكانت له شقيقة تصغره فى العمر .. تولت تربيتهما جارية حبشية وثنية .. كانت تتردد على معبد لتمارس به طقوس ديانتها وفى إحدى الليالى اصطحبت معها الطفلين الصغيرين .. وما إن دخلت المعبد حتى سقطت الأصنام وتحطمت .. فخافت الجارية واصطحبت الطفلين وفرت هاربة إلى

الإسكندرية وتوجهت إلى كنيسة القديس ثاؤنا .. ليراهم البابا أثناسيوس .. وعندما استمع إلى قصتها أخذ الطفلين .. فاعتنى بثاوفيلس ووضع الفتاة فى دير ظلت به حتى زواجها برجل من بلدة المحلة .. وأنجبت منه فيما بعد كيرلس..

سنوات وأصبح ثاوفيلس البطريرك الثالث والعشرين للإسكندرية .. فاحتضن كيرلس ابن شقيقته واعتنى بتربيته وتعليمه فأدخله المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية فدرس علوم الفلسفة للرد على الهراطقة والمبتدعين وبعد ذلك أرسله إلى جبل النطرون إلى دير أبى مقار ليتتلمذ على يد الأنبا سيرابيون الحكيم ليقوم بتهذيبه بكل العلوم الكنسية والنسكية .. وظل مع أستاذه لمدة خمس سنوات تمكن خلالها من دراسة كتب الكنيسة وأجاد علومها .. وعرف عنه موهبة غريبة فكان إذا قرأ كتابا مرة واحدة حفظه عن ظهر قلب .

وعاد كيرلس ليستكمل تعليمه على يد خاله .. وبعدما ظهر عليه التقوى والزهد والعلم رسمه الباب شماسا وكلفه بالوعظ " ليأسر قلوب مستمعيه بطلاقة لسانه وحلاوة صوته وإيمانه الشديد .. وذاع صيته وعكف على الاطلاع والدراسة وبعد وفاة خاله انتخبه رجال الدين وأيدهم الشعب فى قرارهم ليصبح البابا الرابع والعشرين فى عام ٤١٢م فى عهد الإمبراطور " ثيودوسيوس "

جلس كيرلس على الكرسى الرسولى ليبدأ جهاده فى القضاء على أتباع الوثنية والمهرطقين واليهود الذين كانت تمتلئ بهم الإسكندرية .. فواجه منهم الكثيرين ونجح فى القضاء على بدعة " نوفا سيانوس " الذى كان يرفض أن يحل المذنبين من خطاياهم .. فوعظهم وبين لهم خطأ معتقدهم ولما أصروا عليه طرد الأسقف نوفاسيانوس من المدينة وجرده من أملاكه ومقتنياته وتفرغ لمواجهة اليهود وطردهم من المدينة بعد أن حاولوا إشاعة الفوضى والشائعات الكاذبة .. وأعقبت حملاته التطهيرية والتى كان ينادى بها بحماسة شديدة فى مواعظه مقتل الفيلسوفة " هيباتيا " التى سجلت فى شوارع الإسكندرية وقيل إن قتلها جاء بعد خطبة نارية للبابا كيرلس حث فيها المؤمنين على التخلص من مظاهر الكفر والوثنية .. فخرج بعض الشباب المتحمس وقضوا على الفيلسوفة بدون علم البابا

كيرلس .

وانشغل البابا كيرلس فى كتابة المؤلفات التى توضح وتشرح العقيدة المسيحية .. وفى تفسير الكتابات المضادة حتى وصل إليه ما يقول به نسطور خاصة بعد أن اعتنق بعض الرهبان ورجال الدين مذهبه فكتب البابا كيرلس رسالته الأولى حول نسطور وأقواله فند فيها ما يقوله .. وتم تداول الرسالة فى مصر والقسطنطينية حتى وصلت إلى نسطور الذى كلف أحد كهنته بالرد عليها .. وبدأت حرب الرسائل .. ما بين البابا كيرلس .. ونسطور أسقف القسطنطينية . ولم يبق هناك سوى الاحتكام إلى الإمبراطور.

أشاع نسطور أن الإمبراطور راض تماماً عن معتقده وتفسيراته .. فما كان من البابا كيرلس إلا أن كتب عدة رسائل إلى الإمبراطور يوضح فيها حقيقة ما قاله نسطور وتوضيحه ورد عليه .. وكتب رسالتين إحداهما إلى الملكة أفروكسيا زوجة القيصر وبولكاريا شقيقتها والثانية لاركاديا وماريا شقيقتى القيصر حيث كانتا ناذرتين العفة لله مع بولكاريا شقيقة زوجة القيصر . موضحا لهن خطورة ما يقول به نسطور وموضحا لهن حقيقة الايمان المسيحى .

وانتقلت حرب الرسائل إلى جبهة أخرى .. فحاول نسطور استمالة كبار أساقفة المدن بالكتابة إليهم والشكوى لهم من هجوم البابا كيرلس عليه .. وكان كليستينوس أسقف رومية واحدا من الأساقفة الذين وصلتهم رسالة نسطور وتلاها رسالة البابا كيرلس وبعد أن درس الموقف انحاز للبابا كيرلس وعقد مجمعا فى رومية حكم فيه على نسطور بأنه مهرطق ومبتدع وطالب المجمع نسطور بالتخلى عن معتقداته والعودة إلى صحيح الإيمان المسيحى الارثوذوكسى وكتب إليه أسقف رومية قائلا " إن لم ترفض بوضوح وبنية مستقيمة هذا التعليم المضل ولا تعتقد الاعتقاد الصحيح بسيدنا يسوع المسيح فى مدة عشرة أيام فأنا أفصلك من شركتى وأقطع كل علاقة معك " وأرسل هذا القرار إلى كيرلس وقرر بعدها مراسلة أساقفة الشرق من أجل إقناع نسطور بترك معتقداته ثم عقد مجمعا بالإسكندرية ثم عرض الرسائل المتبادلة بين البابا كيرلس ونسطور واتفق الجميع

على اقتراح البابا كيرلس بكتابة رسالة لنسطور يوضح فيها البابا كيف يجب أن يؤمن .. وتألفت الرسالة من إثنى عشر بندا ناقش كل بند فيها قضية إيمانية انتهت بتحريم نسطور إذا لم يؤمن بها .. وطالبه فى نهايتها بالتوقيع عليها .. بمعنى أن عدم موافقته على توقيع الرسالة تعنى أنه صار محروما .

وبدأ البند الأول :

من لم يعترف أن عمانوئيل " هو إله حقيقى ومن أجل هذا أن العذراء الطاهرة هى والدة الله كونها ولدت جسديا الكلمة المتجسد من الله لكون الكلمة صار جسدا فليكن محروما .

من لم يعترف بأن كلمة الله الأب صار واحدا مع الجسد كالأقنوم وأن المسيح واحد فقط مع جسده وهو إله وهو إنسان فليكن محروما.

من فرق من بعد الاتحاد بالمسيح الواحد إلى أقنومين وضايفهما فى بعضهما بعضا بالمصاحبة فقط أم بالعظمة أم بالقدرة أم بالسلطان ولم يحسن أن يوحدهما بوحدانية طبيعية فليكن محروما .

من ميز تلك الأصوات المذكورة فى كتب الإنجيليين أم فى رسائل الرسل أم نطق بها الآباء القديسون أن قالها المسيح على ذاته وفرزها إلى أقنومين أم إلى اثنين قائم بذاته ويفهم أن البعض منها هى لائقة لإنسان خصوصى وحده فقط كأنه غريب عن كلمة الله وأن البعض منها ملائمة لله فهو يخصها لكلمة الأب وحده فقط فليكن محروما .

من تجاسر وقال إن المسيح الذى يستعمل السلطان الإلهى أنه انسان سائج ولم يحسن أن يقول إنه إله بالحقيقة وابن واحد بالطبيعة الذى كالاتحاد الأقنومى واشترك معنا فى اللحم والدم لكون الكلمة صار جسدا على ما فى الكتب فليكن محروما .

من قال إن كلمة الأب هو إله أم رب المسيح ولم يحسن الاعتراف بأن المسيح نفسه هو إله وهو إنسان لكون الكلمة صار جسدا على ما فى الكتب فليكن محروما.

من قال إن الله الكلمة كان يفعل فى الإنسان يسوع وأن عزة ابن الله الوحيد

اتصلت به كأنه آخر غير الكلمة فليكن محروما .

من تجاسر وقال ينبغى أن يسجد للإنسان الذى أصعد إلى السماء مع الله وأن يمجد معه أو يسمى معه إلها كان واحدا مع آخر وهو يضطر أن يعترف أن زيادة فى كل حين ولا يمجد " عمانوئيل " بسجدة واحدة ويوصل إليه هذا المجد فقط لكون الكلمة صار جسدا .. فليكن محروما .

من قال إن ربنا يسوع المسيح الوحيد كان ممجدا من قبل الروح القدس بقدرة غريبة منه وأنه بنعمة الروح كان يستعمل تلك القدرة والسلطان على خروج الأرواح النجسة وبه يتم الآيات اللاهوتية فى البشرية ولا يقول إن الروح خاصة له وأنه كان يفعل به آيات اللاهوت .. فليكن محروما .

إن الكتاب المقدس يقول إن المسيح صار رسولا وعظيم أحبار إيماننا وأنه قرب نفسه لله لأجلنا ولأجل خلاصنا بخورا طيبا لله الأب .. فأما من قال إن كلمة الله ليس هو الذى صار رسولا ورئيسا للكهوف وتجسد وصار إنسانا مثلنا بل إنه أخذ جسدا خارجا عنه وهو إنسان فقط من امرأة دون الكلمة ثم ومن قال أيضا إن المسيح قرب نفسه لله الأب لأجل نفسه ولم يحسن القول أنه قرب نفسه لأجل خلاصنا نحن البشر فقط لأنه لم يحتج إلى قربان إذ لم يعرف خطيئة فليكن محروما .

من لم يعترف بأن جسد الرب شاف .. محيى .. كونه لكلمة الله الأب ويعكس الحق ويقول إنه آخر خارج عنه بالتمجيد وكان فيه فقط بحلوله ظاهرا يقول إنه يحيا على ما قلنا لكون الله الكلمة كان ساكنا فيه غير متحد به باتحاد إقنومى ولم يحسن كما سبق قولنا أنه معطى الحياة كونه صار لكلمة الله خاصة الذى هو قادر أن يحيى الكل .. فليكن محروما .

من لم يعترف بأن الله الكلمة تألم فى الجسد وصلب فى الجسد وذاق الموت وأنه بكر الأموات مثلما أنه الحياة وهو المحيى كالإله .. فليكن محروما .

وصلت رسالة البابا كيرلس الأخيرة التى احتوت على الاثنى عشر بشراً إلى نسطور والتى طالبه البابا بالتوقيع عليها بما يعنى موافقته على ما جاء فيها ..

وكعادة نسطور فى تعامله مع رسائل البابا كيرلس .. لم يهتم بها .. وأوكل أمرها إلى معاونيه للرد على بنودها .. وكتب ضد رسالة الحرمان عددا من أساقفة نسطور منهم اندراوس أسقف سميساط وثاوذوريتوس أسقف كورش "وأبيا " اسقف أداسيس .. وأظهرت رسالة الحرمان مدى انقسام الكنيسة إلى شطرين .. فكانت كنائس رومية وأورشليم وآسيا الصغرى تابعة للبابا كيرلس .. وكنائس القسطنطينية وإنطاكية تابعة لنسطور .

وكان لابد من حسم الأمر .. وهو ما دفع البابا كيرلس .. للكتابة للإمبراطور قائلا له " إن آباءك كانوا غيورين على مجد الكنيسة فيلزمك أن تأمر بعقد مجمع عام تفحص فيه قضية نسطور الذى يحاول أن يشتت بيعة المسيح ونحن تلقاء ذلك نصلى من أجلك ومن أجل مملكتك .

بعد هذا أصبح الجو مهيأ لعقد مجمع يحسم الخلاف ما بين الجانبين بعدما تصاعدت الأحداث فى القسطنطينية التى شهدت ثورة بعض الرهبان الذين وصلتهم رسائل البابا كيرلس فأعلنوا عن رفضهم لمعتقدات نسطور .. مما دفع بنسطور لعقاب هؤلاء الرهبان بالطرد وأمام كل هذه الأحداث أعلن الإمبراطور عن قراره .. بعقد مجمع مسكونى عالمى فى مدينة أفسس " .

لا أحد يستطيع أن يجزم بالتحديد كيف اختار الإمبراطور مدينة أفسس لعقد المجمع ؟

هل أوعز له شخص باختيار تلك المدينة تحديدا مكانا لعقد ذلك المجمع الهام .

فاختيار المدينة كان له مغزى شديد الأهمية .. وله قصة ارتبطت بتاريخها ونشأتها وآلهتها .. فهى كانت مدينة أمومية حاميتها أيام وثنيتها الإلهة ديانا .

وبعد أن دخلتها المسيحية عبد أهلها السيدة مريم العذراء .. من اختيار المدينة بدا واضحا لمن سيحسم الأمر ..

تقع مدينة أفسيس على ضفاف نهر " كايستر " الذى يخترق أراضى آسيا الصغرى .. وهى فى تركيا الآن . اشتهرت المدينة بأنها كانت من المدن الكبرى كما كانت ميناء تجاريا مهما فى بداية عهد الإمبراطورية الرومانية وكان أهلها وقبل

دخول المسيحية إليها يعبدون الإلهة " أرطاميس " .. إلهة القمر الإلهة الأم عند اليونانيين وكان الرومان يطلقون عليها " ديانا " الأخت التوأم للإله أبولو رئيس آلهة اليونان .. وكان معبدها يعد من إحدى عجائب الدنيا السبع وكان يتوسطه تمثال لها يعتقد أتباعها بأنه هبط من السماء .. وتعرض المعبد للهدم والتخريب ثم أعيد بناؤه مرة أخرى .. وزاره الإسكندر الأكبر الذى رغب فى كتابة اسمه على جدرانه فرفض أهل المدينة رغبته .. ولم يكن المعبد الذى كان يرمز إلى الخصوبة والأمومة وحده من معالم المدينة بل كانت مكتبتها الهائلة تحفه معمارية بنيت عام ١٢٥ قبل الميلاد وضمت ١٢ ألف مخطوط وتم بناؤها فى اتجاه الشرق من أجل أن يتوفر الضوء لغرف القراءة أطول فترة ممكنه إلى جانب مسرحها الذى كان يسع ٢٥ ألف شخص

وبدخول المسيحية إليها على يد بولس الرسول والقديس يوحنا الذى مات بها عام ١٠٠م اشتهرت المدينة بإكرامها الشديد وحبها للسيدة مريم العذراء الحب الذى وصل فى كثير من الأحيان إلى حد العبادة .. وأصبحت السيدة العذراء شفيعة المدينة التى شيد بها كثير من الكنائس باسمها ..

وشعرت " أفسيس " بالراحة الشديدة بعد أن استبدلت عبادة الإلهة ديانا بعبادة السيدة العذراء .

استعدت المدينة لاستقبال وفود رجال الدين القادمين إليها من كل أنحاء العالم ووصل إليها البابا كيرلس بابا الإسكندرية وبرفقته العديد من الأساقفة واستقبله " ممنون " أسقف أفسيس وكان صديقا حميماً للبابا كيرلس ومن أخلص أتباعه ويكن له الكثير من الاحترام والود ويتفق معه فى عقيدته الارثوذوكسية وفى خلافه الشديد مع الأسقف نسطور واتخذ كل التدابير اللازمة لمنع نسطور من أن يعظ فى كنائس مدينته .. فعندما وصل نسطور إلى المدينة ومعه ستة عشر أسقفا من أتباعه أغلقت فى وجوههم أبواب الكنائس .

وبدا الوضع فى المدينة شديد التوتر .. خاصة أن الجميع كان فى انتظار قدوم الأسقف يوحنا .. أسقف أنطاكيه الذى تربطه علاقة وثيقة بالأسقف نسطور

وتعطل يوحنا الأنطاكى وأساقفته فى الطريق .. ويقال إنه أرسل للبابا كيرلس يدعوه إلى عقد المجمع بدون انتظار وصوله .. وهناك رأى آخر يقول بأن يوحنا الأنطاكى كانت رسالته تدعو المجتمعين إلى انتظاره .. ويبدو أن الرأى الأخير يتوافق مع الأحداث .. التى وقعت بعد ذلك.

فعندما تأخر وصول أسقف أنطاكية عقد البابا كيرلس المجمع وكان يضم مائة وثمانية وتسعين أسقفا تحت رئاسته وكان معظمهم من الإسكندرية وروما بالقدس وسالونيكا وأفسيس .. ورفض نسطور المشاركة فى أعمال المجمع الذى انتهى بحرمان نسطور .. وتأكيد الإيمان المسيحى الأرثوذوكسى بأن سر التجسد المجيد قائم فى اتحاد اللاهوت بالناسوت فى أقنوم الكلمة الأزلى بدون انفصال ولا امتزاج ولا تغيير ، وأن السيدة العذراء مريم هى والدة الإله.

ووضع مقدمة قانون الإيمان ..

نعظمك يا أم النور الحقيقى ، ونمجدك أيتها العذراء القديسة ، والدة الإله ، لأنك ولدت لنا مخلص العالم ، أتى وخلص نفوسنا ، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل ، إكليل الشهداء ، تهليل الصديقين ، ثبات الكنائس ، غفران الخطايا .

نبشر بالثالوث القدوس ، لاهوت واحد .. نسجد له ونمجده .. يا رب ارحم يارب ارحم .. يا رب بارك .. آمين .

عرف نسطور بما توصل إليه المجمع الذى رفض المشاركة فيه .. وترك أنسيس متوجها إلى القسطنطينية من أجل مقابلة الإمبراطور وهو يحمل تقارير تحمل وجهة نظره وتقارير أخرى كتبها " كانديان " قائد الحرس ومندوب الإمبراطور الذى رافق نسطور أثناء إقامته فى المدينة .. وكانت " كانديان " تطعن فى صحة قرارات المجمع وفى موقف البابا كيرلس .. وبعد سفر الأسقف نسطور بخمسة أيام وصل الأسقف الأنطاكى يوحنا إلى أفسيس وبرفقته اثنان وثلاثون أسقفا.

وعندما علم بما حدث وبالحكم الذى صدر ضد نسطور غضب بشدة .. وقام بعقد مجمع آخر فى أفسيس .. قرر فيه عزل البابا كيرلس وممنون أسقف

أفسيس ورفض قبول أساقفة مجمع أفسيس في شركته إن لم يتنازلوا عن قرارهم .. ونجح الأسقف يوحنا في أن يرسل قرارات مجمعه إلى الإمبراطور .. في نفس الوقت الذي لم يتمكن فيه البابا كيرلس من إرسال نتائج المجمع الذي عقده إلى الإمبراطور بعد أن حاصر " كانديان " المدينة ومنع الخروج منها .. وتروى هنا قصة قد يكون بها الكثير من المبالغة وإن كانت قد تحمل حقيقة ما حدث في تلك الأيام البعيدة ..

فعندما شعر البابا كيرلس وأساقفته أن هناك حصارا مفروضاً عليهم الغرض منه السماح لنسطور بالوصول إلى القسطنطينية للقاء الإمبراطور وعدم السماح لهم بوصول قراراتهم إلى الحاكم للفصل في الأمر .. لجأ الآباء المجتمعون إلى التحايل على الأمر من أجل وصول صوتهم إلى الإمبراطور .. فقاموا بإحضار "متسول " حمل في يده عصا مجوفة وضع بداخلها قرارات المجمع .. واستطاع بهذه الحيلة أن يفلت من الحصار الشديد الذي فرضه كانديان على المدينة كلها وأن يصل برسالته إلى رجل مشهور بعبادته وتقواه وانعزاله عن العالم كان يدعى "لالماتيوس " العابد الذي كان الإمبراطور يكن له الاحترام والتقدير ويحرص على زيارته في الكهف الذي اتخذه مكاناً لعبادته ومعيشته وظل مقيما به لمدة ثمانية وأربعين عاماً لم يبرحه أبدا إلا عندما حمل إليه المتسول رسالة البابا كيرلس وأساقفته .. فحملها وغادر كهفه من أجل لقاء الإمبراطور الذي استقبله بفرحة شديدة وأطلعه على قرارات المجمع الذي عقده البابا كيرلس والأساقفة وما انتهوا إليه بقرارات حرمان نسطور .

ووجد الإمبراطور " ثيودو سيوس" الثاني أن الأمر ازداد تعقيدا وأن هوة الخلاف اتسعت فحاول مع شقيقته الأميرة بولكيريا تهدئة الأمور وتقريب وجهات النظر بين الفريقين حتى لا يهدد الخلاف وحدة إمبراطوريته .. وفشلت كل المحاولات التي بذلت فما كان من الإمبراطور إلا أن أقر قرارات المجمع الذي عقده البابا كيرلس وقضى بتأكيد حرمان نسطور وإبعاده عن منصبه ونفيه وتحديد إقامته في ديره في أنطاكية وتعين ماكسيميان أسقفا للقسطنطينية بديلا

لنسطور .. وانتهت قرارات الإمبراطور بالسماح للبابا كيرلس بالعودة إلى الإسكندرية ..

أربع سنوات وشهران هى عدد الأيام التى قضاها نسطور كأسقف للقسطنطينية .. أثار فيها مشكلات هائلة انتهت بنفيه إلى ديره الأول الذى بدأ فيه حياته وتشكلت بين أرجائه أفكاره .. ومعتقداته التى تمسك بها فى أثناء نفيه .. لم يستسلم لما مر به وظل يردد أقواله بين رهبان الدير وأتباعه الذين توافدوا للاستماع إليه .. مما دفع بالإمبراطور لإبعاده من جديد فقام بنفيه إلى الواحات الليبية وقيل إنه تعرض لمحن قاسية بعد أن وقع فى أيدى البدو البلاعمة فى جنوب الواحات الليبية .. ثم نقل بعد ذلك إلى أخميم فى جنوب مصر ليكون تحت رقابة الحاكم البيزنطى حتى يضمن عدم اتصاله بأتباعه .. وحرصا من الإمبراطور على عدم نشره لأفكاره من جديد .. وظل نسطور فى منفاه الجديد وحيدا ومحاصراً .. وقيل إنه وضع كتابا تحت اسم مستعار يدافع فيه عن نفسه وأفكاره بعنوان " سوق هيراقليدس " .. وفى عام ٤٥١م .. وتحديداً فى ليلة انعقاد مجمع خلقدونية مات نسطور ودفن فى بقعة مجهولة ليغيب جسده بين طيات الأرض .. ولتظل أفكاره تنتقل لسنوات طويلة حتى أيامنا هذه.

فبعد موت نسطور .. تأسست الكنيسة النسطورية .. على يد تلاميذه الذين آمنوا بأقواله .. واستطاعوا أن يصلوا إلى مقاعد الأسقفية فى مدنهم مثل إيباس فى مدينة الرها والذى خلف الأسقف " رابيولا " الأرثوذوكسى .. كان إيباس من المتعاطفين مع أفكار نسطور وإن كان شديد الولع بأفكار وآراء تيودور المصيصى أستاذ نسطور مما دعاه إلى ترجمة أعمال تيودور إلى اللغة السريانية .. وأصبح للنساطرة فى عهده شأن كبير وخلفه بارشاوما النسطورى الذى تفاقمت الأمور فى عهده وتعرض النساطرة للاضطهاد واضطروا إلى الخروج من الأراضى الواقعة داخل الإمبراطورية الرومانية متجهين إلى مناطق كردستان وبلاد ما بين النهرين الواقعة تحت نفوذ الإمبراطورية الفارسية .. لتحدث المفارقة الغريبة .. ولتصبح الإمبراطوية الفارسية التى وعد نسطور بالتخلص من جنودها فى خطبته

الأولى .. هى نفس الأرض التى احتضنت أتباعه .

قوى نفوذ الكنيسة النسطورية وتحرك دعاتها إلى خارج الأراضى الفارسية للتبشير بمذهبهم متنقلين فى أماكن بعيدة وكان من بينهم الأطباء الذين برعوا فى الطب وكان من بينهم الدعاة المخلصون لمذهبهم المتفانون فى سبيل نشره متجاوزين صعوبات السفر إلى الأماكن البعيدة الوعرة وكانوا عندما يستقرون فى مكان ويؤسسون أسقفية .. يقيمون إلى جوارها مدرسة مزودة بمكتبة ودار للخدمات الصحية والعلاج إلى جانب الحرفيين المهرة من النساطرة الذين كانوا يقيمون فى أماكن الدعوة الجديدة وانتشرت النسطورية فى أجزاء من إيران والعراق والجزيرة العربية ووسط آسيا والهند والصين .. وكانت الجزيرة العربية واحدة من الساحات التى مارس فيها النساطرة نشاطهم التبشيرى .. ففى عام ٢٥٢م كانت لهم أسقفية فى "بيت قطرا" .. قطر الآن وكان هناك ستة أساقفة فى الجزيرة العربية فى القرن الخامس .. كان من بينهم أسقف الحيرة الذى كان يتبع المطران النسطورى فى بلدة كشقر .. كذلك كانت هناك كنائس فى صنعاء وعدن وظفار إلى جانب بعض الأديرة والمدارس فى عمرونة وعجمانة .

ولم يكن نسطور الذى استقر فى قبر مجهول فى مدينة أخميم قد خطط لأن ينتشر مذهبه كل هذا الانتشار .. ولم يتصور من كانوا يرجمون قبره أنهم يرجمون بقايا جسد وأنهم لا يستطيعون القضاء على ما نادى به فى يوم من الأيام من على كرسى القسطنطينية .